

عصافير لا تغريد

قصة قصيرة

للدكتور حامد طاهر

حدث هذا منذ عدة سنوات ، عندما تملكتنى رغبة شديدة فى اقتناء عصافير زينة ملونة ، لكى أتمتع بمنظرها ، واستمتع بتغريدها .

والواقع أن السبب فى ذلك يرجع إلى صديق لى ، كان يمتلك مثل هذه العصافير ، وكثيرا ما كان يحدثنى عن جمالها ، وأصوات تغريدها ، ومتابعتها وهى تبيض وتفقس ، ثم ينقل فراخها حين تكبر إلى قفص آخر ، حتى أصبح لديه منها عدة أقفاص ملأت المشرفة .

المشكلة الوحيدة أن زوجته أصبحت متضايقة من رعايتها، وتنظيف المكان من قشر الحبوب الذي يتناثر من أقفاصها، لذلك كان يبذل قصارى جهده فى محاولة تهدئتها وإرضائها.

ذهبت إلى محل الطيور وطلبت من البائع أن ينتقى لى زوجا من العصافير الملونة، بشرط أن يكونا بصحة جيدة حتى ينجبا ذرية جيدة. وبالفعل اختار لى الرجل ما طلبت، وأوصانى بشراء قفص كبير الحجم حتى يأخذا حريتهما فيه. وأذكر أنني قلت له مازحا: أى حرية، ما داما محبوسين فى قفص؟!؟

المهم حملتهما إلى المنزل وأنا سعيد جدا، وعلى حائط الشرفة علقت القفص وجلست أراقبهما وهما يتقازقان ويتناجيان ويقضيان وقتا أطول فى تناول الحبوب.

مر أسبوع ولم أسمع لهما أى تغريد. فقط زقزقة خافتة وبعض الصراخ الناتج عن مناقشات كانت تحدث بينهما. والواقع أنني خجلت من سؤال أحد عن السبب فى عدم تغريدهما. لكننى تجاوزت عن ذلك حين رجعت من العمل ذات يوم وفوجئت بالعصفورة الزوجة ترقد على بيضتين صغيرتين جدا. وقد أنسانى هذا الحدث مشكلة التغريد ووجدتني مشغولا للغاية بحالة البيض وموعد فقسه.

واخيرا تم ظهور فرخين أزغبين بعيون مغلقة تماما ثم راح الأبوان يقومان على إطعامهما بكل همة ونشاط. ولم يمض وقت طويل ح تى كسا الريش الملون أجسادهما وراحا يتحركان بحيوية فى القفص الذى بدا أنه لا يسع الأربعة معا، فاشتريت قفصا خاصا بهما، كما ضاعفت كمية الحبوب لهن جميعا.

الغريب أنه لم تمض فترة طويلة حتى فوجئت بالببيض فى قفص الأبووين ، ثم فى قفص العصافيرين الشبابين ! وهكذا اضطررت للإسراع بشراء قفص ثالث لاستقبال المواليد القادمة فيه . وحين سألت بائع الطيور هذه المرة عن سبب عدم التغريد أجابنى بكل جدية :

المهم الصحة يا أستاذ .. أليست جيدة ؟ وها هما يبيضان ويمدان عليك الأقفاص بالذرية .

لم أرد بأى كلمة. وعدت إلى المنزل محاولا كالمعادة تنظيف المشرفة من قشر الحبوب الذى أصبح متناثرا بكثرة . ولما بد أن أعترف بأن هذا العمل كان قد أصبح مرهقا لى بشدة . لذلك فقد قررت أن أتخلى عن العصافير ودوشتها ، خاصة وأن الرغبة فى امتلاكها قد بدأت تتلاشى . وفى المساء ، تلفنت لصديقى قائلا :

عندى لك هدية طيبة : ثلاثة أقفاص بعصافير ولودة ومنتجة .. لكن صوته جاء خافتا : [ؤسفننى عدم قبولها ، فقد تخلصنا من عصافيرنا كلها ، بسبب مرض زوجتى .

وضعت السماعة. وفى الصباح الباكر اصطحبت من حمل معى الأقفاص ، وذهبتنا بها إلى محل الطيور. كان المحل مغلقا ، وعلينا أن ننتظر فتحه بعد ساعة. جلسنا على الرصيف والأقفاص حولنا ، وفجأة سمعت أحد الفراخ الصغيرة يغرد.. لم ألق له أى اهتمام ، وصممت على إرجاعها كلها للبائع .

---